مجلة الرائد

العدد : ٢٤٦ الموافق في رمضان ١٤٢٤ هجري ٢٠٠٣/١١ ميلادي

عنوان المقال : الهجوم على الأسرة والمناهج التربوية في بلادنا	الكاتب : نبيل شبيب

الأخذ بأيدي جيل الأطفال والناشئة
بات يمثّل المحور الحاسم على المدى المتوسط والبعيد

حسب دعوة المنظمة العالمية لرعاية الطفولة (اليونيسيف) خصصت دول عديدة يوماً من العام باسم يوم الطفل العالمي ، ونجد في البلدان العربية يوم الطفل الفلسطيني ، ويوم الطفل العربي ، ويوم الطفل الخليجي ، ويوم الطفل العالمي أيضاً ، في أوقات مختلفة من العام ، بينما نجد بلداناً آخر اختارت لنفسها مواعيد أخرى ، مثل ألمانيا التي جعلت العشرين من أيلول/ سبتمبر يوماً عالمياً للطفل . ولا يمكن الفصل بين الحديث عن هذه المناسبة ، عن الواقع المأساوي لنسبة كبيرة من الأطفال والناشئة في بلادنا ، ولاعن تلك الحملة الكبرى القائمة منذ سنوات ، والمتصاعدة بصورة هجومية في الوقت الحاضر ، الداعية إلى تغيير مناهج التعليم والتربية في الدرجة الأولى ، مع الزعم بأنّ المطلوب " تحريرها " والاقتراب بها ممّا يسود في الغرب على صعيد تنشئة الأطفال والتعامل معهم .

الأطفال ..مجرّد أرقام

نلقي في البداية نظرة على بعض الأرقام التي نشرت في شهر أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣م ، وقد كان منها :

١- وكالات إغاثة دولية تتنبّأ بأنّ استمرار الإخفاق على صعيد السياسات الصحيّة عالمياً ، يمكن أن يؤدّي إلى ارتفاع نسبة الوفيات على مستوى الأطفال والنساء ، ليصل إلى ثمانين مليوناً عام ٢٠١٥م ، نتيجة الإصابة بأمراض يمكن الوقاية منها ، مثل الإسهال والالتهاب الرئوي . العقبة التي تسبّب الإخفاق – كما تقول تلك المنظمات - هي الامتناع عن تمويل المشاريع الصحية الدولية المطروحة ، علماً بأنّ جميع ما تتطلّبه من نفقات لا يعادل ثمن بضعة صواريخ وطائرات مقاتلة أمريكية ، أو لا تعادل نسبة ضئيلة من قيمة الدعم المالي للمزروعات الأوروبية حفاظاً على منافستها للمزروعات في البلدان النامية! .

٢- المنظمة العالمية لرعاية الطفولة (اليونيسيف) تقول إنّ حوالي ١٢٦ مليون طفل في أنحاء العالم ، ولا سيما في الدول الفقيرة ، محرومون في عام ٢٠٠٣م من حقّ التعليم في المدرسة ، رغم بلوغهم سنّ الدراسة ، وهو رقم سجّل ارتفاعاً مطّرداً في التسعينات الميلادية الماضية ، أي العقد الذي شهد سلسلة المؤتمرات الدولية الكبرى التي تركّز في كثير منها الحديث عن الأسرة والمرأة والأطفال والناشئة ..ولكن في اتجاه آخر يمكن تصنيفه تحت عنوان " الإباحية الجنسية " في الدرجة الأولى .

٣- أعلنت المنظمة العالمية لرعاية الطفولة (اليونيسيف) عن دراسة شاملة أجريت لأوّل مرة في الدول الأوروبيّة والأمريكيّة والصناعيّة عموماً ، وكان من حصيلتها أنّ ٣٥٠٠ طفل دون الخامسة عشرة من العمر ، يموتون سنوياً في البلدان " المتقدّمة " نتيجة سوء المعاملة الجسدية والإهمال ، وهو ما يمثّل الرقم الرسمي الذي يعبّر عن " الحالات الثابتة " عبر التحقيق ، وليس سائر الحالات ، ناهيك عن حالات سوء المعاملة التي لا تنتهي بالموت " الجسدي " وإن أدّت واقعياً إلى ما يمكن وصفه بالموت النفساني .

ويوجد المزيد ..

عن وصول عدد الفقراء الذين يعيشون دون حدّ الفقر ، ويعانون من " الجوع " في البلدان الثرية ، وقد بلغ عددهم زهاء ١٥ مليوناً في الولايات المتحدة الأمريكية ، ومليوناً ونصف المليون في ألمانيا ، وأكثر من ذلك في بريطانيا وفرنسا وسواهما .

عن الارتفاع المطّرد في نسبة انتشار الجريمة بين الأطفال والناشئة داخل المدارس وخارجها ، مع هبوط سنوي مطّرد في وسطي أعمار من يرتكبون الجريمة في تلك السنّ المبكّرة .. وعن انتشار الخوف على أوسع نطاق في نطاق المعلّمين والمعلّمات ، الذين باتوا يتعرّضون بصورة متزايدة للإهانة والاعتداء الجسدي من جانب " التلاميذ " ..

عن وصول عدد الأطفال الذين لا يعيشون في أسرة ترعاهم ، إلى الثلث على الأقلّ ، وعدد من

يعيش في أسرة ولكن ليس مع آبائهم وأمّهاتهم ، إلى الثلث أيضاً .. وارتفاع عدد الذين يعيشون بمفردهم من الذكور والإناث إلى أكثر من ٢٠ في المائة ، ومن الذين يعيشون بالمعاشرة دون زواج إلى أكثر من ١٥ في المائة ، ناهيك عن انتشار ما يسمّونه " الزيجات المثلية " والمقصود هو موجة تقنين حالات السحاق واللواط .. ولا غرابة في مخاوف العدد الأكبر من الدول الغربية من " الانقراض " بهبوط عدد المواليد إلى مستويات متدنيّة لا تعوّض عدد الوفيات ..

عن ملايين الأطفال الذين يتعرّضون للاستغلال الجنسي في البلدان " المتحرّرة جنسياً " ، ويقع ثمانون في المائة من ذلك عن طريق الأقرباء ، من آباء وإخوة وأعمام وأخوال ، وعن ارتفاع عدد الاعتداء الجنسي بما في ذلك حالات اغتصاب الفتيات والنساء إلى درجة أنّ ثلث الإناث عموماً قد تعرّض إلى ذلك في هذه الأثناء مرة أو أكثر ..

اختلاف نوعي مع مشكلات الغرب

ويوجد المزيد .. من عالم المخدّرات والإباحية ، وما يُسمّى " الرقيق الأبيض " ، ومن ظاهرة " السياحة الجنسية " ، كما يوجد المزيد من عالم ارتفاع نسبة الانتحار بين الشبيبة ، وارتفاع نسبة الأمراض النفسانية ، وارتفاع نسبة الجرائم المذهلة التي باتت تقع باطّراد ، من قبيل قتل الأم أو الأب للأطفال .. قتلاً مباشراً فضلاً عن " القتل " عن طريق الإهمال ، حتى يموت الطفل جوعاً أو مرضاً ..

وما أعجب استغراب من يسمع بذلك فيقول : علام التركيز على " السلبيات " في الغرب ، وتجاهل الإيجابيات ؟ .. ولا يجهل أحد الإيجابيات ولا سيّما في ميدان التقدّم العلمي والتقني والمادي .. ولا حتّى في ميدان حرية التعبير واستقلالية القضاء عموماً وسيادة القانون .. ولكن ما الذي يتبقى من فوائد ذلك إذا كانت الحصيلة هي " موت الإنسان " اجتماعياً وحضارياً! ..

يوجد المزيد ..وكلّما اطّلعنا على المزيد من الواقع الاجتماعي المؤلم في البلدان الغربية ، وفي البلدان الشرقية سابقاً والتي لحقت بالغرب بعد انهيار الشيوعية ، لا بدّ أن نشعر بالعجب الشديد ، وأن نتساءل :

عنوان المقال : الهجوم على الأسرة والمناهج التربوية في بلادنا	الكاتب : نبيل شبيب

- ما الذي تريده الاقتراحات والضغوط والهجمات السياسية وغير السياسية على بلادنا ، على صعيد مناهج التربية والتعليم ؟ .. ومنذا يمكن أن يقلّد الغرب في مناهجه وأساليبه وقد أوصلت خلال جيل واحد .. إلى ما لم يعد يستطيع أحد أن يجد حلولاً له من الأمراض والموبقات ، وهو يشكو منها في التقارير والدراسات الرسمية وغير الرسمية ؟ ..

- أيّ وجدان أو منطق أو عقلانية يمكن أن نجدها في أصوات لا تتردّد عن تأييد تلك الهجمة الغربية ، وجهات لا تتورّع عن تجنيد نفسها لتنظيمها ، وخطوات تنفيذيّة بدأت وأخرى يجري التخطيط لها ، فهل في ذلك كلّه ما يمكن وصفه بأقلّ من " الانتحار الحضاري " عن سابق إصرار ؟ ..

لا أحد يزعم أنّ أوضاع الأطفال والناشئة في بلادنا " بخير " .. ولكنّ ما لا ينبغي أن نجهله هو أنّ ما آلت إليه أوضاعنا على الصعيد التربيوي والاجتماعي ، هو جزء لا ينفصل عمّا آلت إليه أوضاعنا السياسية والاقتصادية والأمنية ، نتيجة سياسات نأت ببلادنا عن قيمنا وثوابتنا ، وعن " تقليد " بعيد المدى للمناهج الغربية في مختلف وسائل التربية والتعليم والإعلام والتوجيه ، فمن ذلك ما أدّى إلى الانحلال والفساد الخلقي ، ومن ذلك ما أدّى إلى ردّة فعل معاكسة في اتجاه التطرّف ، ولكن من ذلك أيضاً – ما لا ينبغي إغفاله تحت ضغوط الأوضاع الراهنة- وهو أنّ ما شهدته العقود الماضية سجّل إخفاقاً ذريعاً ، فنشأ – رغم المحاضن الغربية - جيل الصحوة المتمسّك بثوابت هوية أمّته المتميّزة ، الباحث عن المزيد من أسباب الإرشاد والتوجيه في الطريق الصحيح .

لقد كان الإخفاق كبيراً في جرّ بلادنا إلى " فساد وانهيار مطلق " بتلك الوسائل التي اعتمدت على الركائز الداخلية ، فتحرّكت عبر العقود الماضية وراء الغرب ، وبما سيطر عليه من أسباب الإغواء والانحراف ، ولهذا تأتي الموجة الجديدة المقترنة بالبطش المباشر ، بالقوّة العسكرية ، وبالضغوط العسكرية والسياسية والاقتصادية ، وبتجنيد البقية الباقية من الفئات التي ما تزال تحسب أن مجرّد " بقائها " يكفي ثمناً للخضوع لتلك الضغوط على حساب حاضر الأمّة ومستقبلها .

مجلة الرائد

العدد : ٢٤٦ الموافق في رمضان ١٤٢٤ هجري ٢٠٠٣/١١ ميلادي

عنوان المقال : الهجوم على الأسرة والمناهج التربوية في بلادنا	الكاتب : نبيل شبيب

البحث عن حلّ

إنّ أوضاع الأطفال والناشئة في بلادنا جزء من أوضاع الأسرة والمدرسة والحيّ والجامعة والمصنع والدائرة والمراكز الفكرية والوسائل الإعلامية ..جزء من أوضاع الانحراف والاستبداد ، ومن التبعية الداخلية والهيمنة الأجنبية ، ولن يمكن الوصول إلى حلول ناجعة منفصلة عن بعضها بعضاً ، لقطاع دون قطاع أو ميدان دون ميدان ، بل يجب أن يكون استيعاب المشكلة شمولياً متكاملاً ، وأن تكون الحلول جذرية حاسمة .

وأوضاع الأطفال والناشئة في بلادنا ناجمة عن مجموعة أسباب متعاضدة ، في مقدّمتها :

- الانهيار الاقتصادي الناجم عن الإخفاق السياسي
- البطالة الناجمة عن الانهيار الاقتصادي
- الفراغ الناجم عن البطالة
- التوجيه الفاسد عبر وسائل الإعلام وسواها مع استغلال الفراغ
- التربية على الخضوع والخوف أو التمرّد والفساد والمرتبطة بالتوجيه الفاسد

وما يحتاج إليه جيل الأطفال والشبيبة هو ما يمكن وصفه بالتحوّل الشامل على صعيد أطراف المشكلة جميعاً ، فليس ممكناً الاكتفاء بالتركيز على دور الأسرة دون المدرسة ، أو دور الكتاب دون وسائل الإعلام ، أو الجانب الاقتصادي دون السياسي ، أو حتى الجانب العقدي والأخلاقي دون الجوانب المتعلقة بحقوق المعيشة المادية الكريمة ، مع عدم التهوين من شأن ما يمكن أن يتحقق جزئيا في كل مجال من هذه المجالات على حدة .

وجميع ذلك هو ممّا يستحيل تحقيقه عن طريق استيراد التجارب الغربية ولا سيّما ما بدأ في السبعينات من القرن الميلادي العشرين ، وأدّى إلى ما أدّى إليه من أمراض اجتماعية في مستوى الأوبئة خلال جيل واحد .

ولن تزول المشكلة على أيّة حال عن طريق الأوهام التي يدور محورها حول " استيراد منتجات

التقدّم المادي والتقني " ، فتحقيق التقدّم التقني والمادي هدف بحدّ ذاته ، ولكن من المستحيل تحقيقه عن طريق الاستيراد دون التصنيع ، والاستهلاك دون الإنتاج ، والتبعية الخارجية دون الاستقلال والاكتفاء الذاتي ، ويبقى ذلك هو الأرضية التي لا يمكن إيجادها دون سياسة قويمة ، وإدارة حكيمة ، ترتبط اجتماعياً بمقوّمات وجود الأمّة وثوابتها ومصالحها العليا ، وهذا بدوره ما لا غنى عنه في العودة ببلادنا إلى مناهج التعليم والتربية والإعلام وإلى تعزيز الأرضية الفكرية والثقافية والاجتماعية ، التي تربط ما بين مسؤولية الفرد ومسؤولية المجتمع ، وتربط معهما المسؤولية المتوارثة من جيل إلى جيل .

إنّنا في حاجة في المرحلة الراهنة بالذات إلى تضافر الجهود على كلّ صعيد ، ما بين العلماء والدعاة والمفكّرين والمثقفين والأساتذة والإعلاميين ، ما بين التيّارات المتعدّدة والأحزاب المختلفة والمؤسسات التوجيهية والمعاهد والمراكز التخصصية ..وبتعبير آخر لا بدّ من التحرّك على مستوى الخطّ الدفاعي الأخير إذا صحّ التعبير ، للعودة بالأمّة إلى ثوابتها ، وبالأسرة إلى موقعها الأساسي الحاسم في المجتمع ، وبالمدرسة إلى مكانتها الحاسمة في مستقبل الأجيال ، وبالكلمة المعبّرة إلى دورها التاريخي في إحياء الوجدان وتعبئة الفكر ، والمهامّ كبيرة وعديدة ، ولكن يبقى أنّ الأخذ بأيدي جيل الأطفال والناشئة ، بات يمثّل المحور الحاسم على المدى المتوسط والبعيد ، في ضمان ثلاثة شروط أولية لا غنى عنها في تحقيق أيّ هدف جليل على هذا الصعيد :

- الحيلولة دون وصول الهجمة الحالية إلى معقل الأسرة وهو الأهم في تكوين أيّ أمّة

- والحيلولة دون الوصول بجيل المستقبل إلى مرحلة اليأس من التغيير الإيجابي مع ما يمكن أن ينبني على ذلك من تطرّف مطلق ..أو ضياع مطلق

- والحيلولة دون أن يمرّ جيل آخر من عمر الأمّة ، لتجد نفسها مجدّداً أمام السؤال المتكرّر منذ عدة عقود : من أين نبدأ في مواجهة النكبات والكوارث المتتابعة ومتى نبدأ ؟